

البنية الاتجاهية لشعر المقاومة بين الكلاسيكية والحداثة
بدوي الجبل وممدوح عدوان نموذجاً

The Directional Structure of Resistance Poetry between Classicism and
Modernism: A Comparative Study of Badawi al-Jabal and Mamdouh Adwan

ط.د. أكنولا نور الدين الادي

جامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية) Annury13@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/15

تاريخ المراجعة: 2026/04/29

تاريخ الإيداع: 2026/04/03

ملخص:

تبحث هذه الدراسة في البنية الاتجاهية لشعر المقاومة في الشعر العربي المعاصر، من خلال تحليل نماذج من شعر بدوي الجبل وممدوح عدوان بوصفهما ممثلين للاتجاهين الكلاسيكي والحداثي. وتهدف إلى الكشف عن تمثيلات الاتجاهات الرئيسة لشعر المقاومة (الوطني، القومي، الإنساني، الاجتماعي)، وبيان خصائصها الفنية والدلالية، وأوجه التلاقي والاختلاف بين الشعاعين. تنطلق الدراسة من تساؤل محوري حول كيفية تجلّي هذه البنية والتحوّل الذي طرأ عليها في الانتقال من الكلاسيكية إلى الحداثة، مع اعتماد المنهج التحليلي المقارن. وقد أظهرت النتائج أنّ شعر المقاومة يقوم على بنية مركّبة تتداخل فيها الأبعاد المختلفة، غير أنّ بدوي الجبل يميل إلى المباشرة والخطابية، بينما يوظّف ممدوح عدوان الرمز والمفارقة والتقنيات الدرامية، بما يعمّق الدلالة. كما برز تحوّل في الوظيفة الشعرية نحو المساءلة النقدية واتساع البعد الإنساني.

الكلمات المفتاحية: شعر المقاومة، البنية الاتجاهية، بدوي الجبل، ممدوح عدوان، الكلاسيكية، الحداثة.

Abstract:

This study examines the directional structure of resistance poetry in modern Arabic literature through selected works by Badawi al-Jabal and Mamdouh Adwan, representing classical and modernist trends. It aims to explore major dimensions of resistance poetry—national, pan-Arab, humanistic, and social—while highlighting their artistic and semantic features and the similarities and differences between the two poets. The study addresses how this structure manifests and transforms from classicism to modernism, using a comparative analytical approach. Findings reveal a complex structure integrating multiple dimensions ; however, Badawi al-Jabal tends toward direct and rhetorical expression, whereas Mamdouh Adwan employs symbolism, irony, and dramatic techniques, yielding deeper meanings. The study also identifies a shift in poetic function from direct mobilization to critical inquiry, alongside an expanded humanistic perspective.

Keywords: Resistance Poetry, Directional Structure, Badawi al-Jabal, Mamdouh Adwan, Classicism, Modernism.

*أكنولا نور الدين الادي.

تقديم:

تُعدّ اللغة الأداة المركزية التي يتشكّل من خلالها الخطاب الأدبي، إذ تتجاوز وظيفتها التعبيرية إلى كونها وسيطاً فاعلاً في تمثيل التجربة الإنسانية، واستيعاب تحولات الواقع التاريخي والاجتماعي¹. ومن هذا المنطلق، ينهض الأدب - والشعر على وجه الخصوص - بوصفه سجلاً حيّاً يعكس تفاعلات الإنسان مع قضايا عصره، ويجسّد رؤيته للعالم في أبعاده المتعددة².

ويُعدّ شعر المقاومة أحد أبرز الأشكال التعبيرية التي تبلورت في سياق التحولات السياسية التي شهدتها العالم العربي، ولا سيما في ظلّ الاحتلال وما نتج عنه من صراعات وجودية وهوياتية. فقد ارتبط هذا اللون الشعري بهمّ جمعيّ يتجاوز الذات الفردية إلى تمثيل الوعي الجماعي، حيث اتخذ من الدفاع عن الأرض والهوية، ورفض الظلم والاستبداد، محوراً أساسياً لخطابه الفني³.

ولا يقف شعر المقاومة عند حدود التعبير المباشر عن القضايا الوطنية، بل يتجاوز ذلك إلى بناء خطاب شعري ذي خصوصية فنية ودلالية، تتداخل فيه الأبعاد الوطنية والقومية والإنسانية والاجتماعية، بما يمنحه طابعاً مركّباً يجمع بين الالتزام الجمالي والوظيفة النضالية⁴. ومن هنا، تتجلى أهمية دراسة هذا الشعر بوصفه ظاهرة أدبية تعكس تفاعل المبدع مع واقعه، وتكشف عن آليات التعبير الفني في سياقات الصراع.

وفي هذا الإطار، تبرز تجربة كلّ من بدوي الجبل وممدوح عدوان بوصفها نموذجاً ثرياً لدراسة تحولات شعر المقاومة في الشعر العربي المعاصر؛ إذ يمثل الأول امتداداً للنزعة الكلاسيكية التي توظف التراث واللغة الجزلة في التعبير عن القضايا القومية، في حين يجسّد الثاني توجّهاً حداثياً يميل إلى توظيف الرمز، والقناع، والبناء الدرامي في صياغة التجربة الشعرية⁵.

ولقد حظيت تجربة شعر المقاومة باهتمام عدد من الدارسين، حيث تناول كل منهم جوانب مختلفة من هذا الشعر:

غسان كنفاني (1966) درس أدب المقاومة في فلسطين، مركزاً على الأبعاد السياسية والثقافية للشعر المقاوم، وكيف يعكس الصراع القومي والوطني في النصوص الأدبية.

إحسان عباس (1993) تناول تحولات الشعر العربي المعاصر، موضحاً العلاقة بين التطور الفني للشعر والسياسات التاريخية والاجتماعية التي أنتجته.

عبد الرحمن شلش (2008) ركز على خصائص الخطاب الشعري المقاوم من حيث بنيته الفنية ووظائفه التعبيرية، مبرزاً آليات التشكيل الفني للمعاني المقاومة في النصوص المختلفة.

فتحي عبد السميع (2010) تناول إشكالية الوضوح والغموض في شعر المقاومة، مسلطاً الضوء على التوتر بين التعبير المباشر والرمزي في النصوص الشعرية.

ورغم هذه الدراسات المهمة، تظلّ الفجوة البحثية واضحة فيما يتعلق بالدراسات المقارنة، إذ لم تُعنَ أي دراسة بتسليط الضوء على تباين الاتجاهات الشعرية للمقاومة بين نموذجين مختلفين في الرؤية والأسلوب، مثل ما يمثله بدوي الجبل في الكلاسيكية وممدوح عدوان في الحداثة. ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى معالجة هذه الفجوة من خلال تحليل ومقارنة البنية الاتجاهية لشعر المقاومة بين هذين النموذجين. ولتحقيق

هدف هذه الورقة، اعتمد الباحث على المنهج التحليلي المقارن الذي يجمع بين المنهج الوصفي لوصف الخصائص الفنية والدلالية في نصوص الشعراء المدروسين، والمنهج التاريخي لتتبع التحولات في شعر المقاومة بين الكلاسيكية والحدثة، ثم المنهج المقارن لمقارنة الاتجاهات الوطنية والقومية والإنسانية والاجتماعية بين بدوي الجبل وممدوح عدوان، مع إبراز أوجه الشبه والاختلاف.

أولاً: الاتجاه الوطني في شعر المقاومة

يُعدّ الاتجاه الوطني أحد المرتكزات الأساسية في البنية الاتجاهية لشعر المقاومة، إذ يتأسس على تمثيل العلاقة الوجدانية والوجودية بين الشاعر ووطنه، بوصفه فضاءً للهوية والانتماء، ومجالاً للصراع في آنٍ واحد. ولا يقتصر هذا الاتجاه على التعبير العاطفي عن حبّ الوطن، بل يتجاوز ذلك إلى بناء خطاب شعري يسعى إلى تثبيت الوجود، ومقاومة محاولات الطمس والإقصاء، واستنهاض الوعي الجمعي⁶.

وفي هذا السياق، تتجلى خصوصية الخطاب الوطني في شعر المقاومة من خلال طابعه الجمعي، حيث تتحوّل الذات الشاعرة من كيان فردي إلى صوتٍ ممثّلٍ للجماعة، يعكس آلامها وتطلّعاتها، ويعبّر عن صراخها مع قوى الاحتلال والاستبداد. ومن هنا، يغدو الوطن في هذا الشعر بنيةً دلاليةً مركّبة، تتداخل فيها أبعاد التاريخ، والذاكرة، والهوية، لتتشكّل محوراً مركزيّاً في التجربة الشعرية.

1 - تجليات الاتجاه الوطني عند بدوي الجبل

يتشكّل الاتجاه الوطني في شعر بدوي الجبل ضمن إطارٍ كلاسيكي يستند إلى جزالة اللغة، واستحضار التراث، وتوظيف الأساليب الخطابية التي تمنح النص بعداً حماسياً واضحاً. ويظهر ذلك جلياً في قصائده التي يعمد فيها إلى تمجيد الوطن، واستحضار أمجاده، بوصفه كياناً تاريخياً يتعرّض للانتهاك.

ففي قصيدته "على أطلال الجزيرة العربية"، يبني الشاعر صورة الوطن على ثنائية "المجد الماضي والانكسار الحاضر"، حيث يستدعي صورة الديار العامرة، ثم يقابلها بصورتها الخربة، في إشارة إلى ما لحق بها من دمار. وهذه البنية التقابلية لا تؤدي وظيفة جمالية فحسب، بل تُسهم في تكثيف الشعور بالفقد، وتحفيز المتلقي على استعادة الوعي التاريخي.

كما يعتمد الشاعر على استراتيجيات لغوية ذات طابع تقريري وخطابي، تتجلى في استخدام الأفعال الدالة على الفعل والحركة مثل: (حيّاً، مرّاً، أبل)، وهو ما يعكس رغبة في تحريك الوجدان الجمعي، وتحويل النص إلى أداة تأثير وتعبئة. ويلاحظ كذلك توظيفه المكثّف للمعجم المرتبط بالقيم (الوفاء، العزّة، الفروسية)، بما يعزّز البعد الأخلاقي للخطاب الوطني.

ومن جهة أخرى، تتجلى البنية الاتجاهية في شعر بدوي الجبل من خلال المباشرة التعبيرية، حيث يميل إلى الوضوح، وتجنّب الغموض، انسجماً مع طبيعة شعر المقاومة الذي يهدف إلى إيصال رسالة محدّدة دون لبس⁷. وهذا ما يجعل خطابه أقرب إلى البيان الشعري الذي يزاوج بين الجمالية والوظيفة النضالية.

2 - تجليات الاتجاه الوطني عند ممدوح عدوان

على خلاف الطابع الكلاسيكي عند بدوي الجبل، يتخذ الاتجاه الوطني في شعر ممدوح عدوان طابعاً حداثياً، يقوم على إعادة تشكيل الوطن ضمن بنية رمزية/تصويرية مركبة، تتجاوز المباشرة إلى بناء دلالات إيحائية متعددة.

في قصيدته "هاجرت من عروبتها"، يعمد الشاعر إلى تشخيص المدينة (دمشق) بوصفها كائناً حياً، يتفاعل مع الشاعر، ويشاركه الذاكرة والحنين. ويُعدّ هذا التشخيص آلية فنية لإضفاء بعد إنساني على الوطن، بحيث يغدو كياناً حميمياً يتجاوز الجغرافيا إلى التجربة الشعورية.

وتتجلى البنية الاتجاهية هنا في اعتماد الشاعر على المفارقة الزمنية، حيث يقابل بين صورة المدينة في الماضي (الدفء، الألفة، الحميمية) وصورتها في الحاضر (الاغتراب، الفقد، التحول). وهذه المفارقة لا تعبر عن تحول مكاني فحسب، بل تكشف عن أزمة هوية يعيشها الشاعر في ظلّ التغيرات السياسية والاجتماعية.

كما يوظف ممدوح عدوان لغة شعرية تقوم على الانزياح والتكثيف، حيث تتداخل الصور والاستعارات لتشكّل شبكة دلالية مفتوحة، تتيح تعددية التأويل. فعلى سبيل المثال، في قوله: "تمدّ المدينة نحوي سواعدها باسميناً"، تتحوّل المدينة إلى رمز للأُم/الملاذ، وهو ما يعمّق البعد الوجداني للخطاب الوطني.

ومن اللافت أيضاً أنّ الشاعر يبتعد عن الخطابية المباشرة، ليعتمد بدلاً منها على التمثيل الدرامي للتجربة، حيث تتكشف معاناة الوطن من خلال السرد الشعري، لا عبر التصريح المباشر. وهذا ما يمنح النص بعداً حداثياً يتوافق مع تحولات الشعر العربي المعاصر.

3 - المقارنة في البنية الاتجاهية

تكشف المقارنة بين الشاعرين عن اختلافٍ بين في تمثيل الاتجاه الوطني؛ إذ يتسم خطاب بدوي الجبل بالمباشرة والنبرة الخطابية، مع اعتماد واضح على التراث واللغة الجزلة، وبناء ثنائي يقوم على استحضار ماضٍ مجيد في مقابل حاضر متدهور، بما يضفي على شعره وظيفة تحريضية صريحة. في المقابل، يتجه ممدوح عدوان إلى خطاب رمزي إيحائي، يوظف فيه الصورة والاستعارة والتشخيص، مع بناء شعري قائم على المفارقة والتحول، الأمر الذي يمنح نصه أبعاداً دلالية أكثر عمقاً، ويجعل الوظيفة الجمالية والتأملية تسير جنباً إلى جنب مع الوظيفة النضالية.

وبذلك، تتجلى البنية الاتجاهية للاتجاه الوطني في شعر المقاومة بوصفها بنيةً متحوّلة، تتشكّل وفق المرجعية الجمالية لكل شاعر، حيث تنتقل من المباشرة الكلاسيكية إلى التركيب الحداثي، مع احتفاظها بجوهرها القائم على الدفاع عن الوطن وتمثيل قضاياها.

يمكن القول إن الاتجاه الوطني يشكّل محوراً بنيوياً في شعر المقاومة، غير أنّ تمثله يختلف باختلاف الرؤية الشعرية؛ إذ يتجسّد عند بدوي الجبل في صورة خطاب تعبوي مباشر، في حين يتخذ عند ممدوح عدوان شكلاً رمزياً مركّباً، يعكس تحولات الشعر العربي من الكلاسيكية إلى الحدثة. وهذا التباين لا يُضعف من فاعلية الخطاب، بل يُثريه، ويكشف عن تعددية آليات التعبير عن القضية الواحدة.

ثانياً: الاتجاه القومي في شعر المقاومة

يمثل الاتجاه القومي امتداداً طبيعياً للاتجاه الوطني ضمن البنية الاتجاهية لشعر المقاومة، غير أنه يتجاوز حدود الانتماء المحلي إلى فضاءٍ أوسع يتمثل في الانتماء إلى الأمة بوصفها كياناً ثقافياً وتاريخياً مشتركاً⁸. ويقوم هذا الاتجاه على تعميق الوعي بوحدة المصير، واستحضار الروابط التي تجمع الشعوب العربية، في مواجهة التحديات الخارجية، وعلى رأسها الاحتلال والتجزئة⁹.

ولا يقتصر الخطاب القومي في شعر المقاومة على التعبير عن التعاطف أو التضامن، بل يتخذ طابعاً تعبويّاً يسعى إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي، من خلال استدعاء التاريخ المشترك، واستنهاض القيم المرتبطة بالوحدة، والكرامة، والتحرر. ومن هنا، يغدو هذا الاتجاه جزءاً من مشروع ثقافي يسعى إلى تجاوز التشرذم، وبناء رؤية موحدة للذات العربية.

1 - تجليات الاتجاه القومي عند بدوي الجبل

يتجلى الاتجاه القومي في شعر بدوي الجبل ضمن رؤية كلاسيكية ذات طابع خطابي واضح، تقوم على استحضار رموز الجغرافيا العربية، وربطها بوحدة المصير، في إطار شعريّ يمزج بين الحماسة والمرثية. ويبرز ذلك في قصيدته "نلك الأقاليم الثلاثة"، حيث يوظف الشاعر بنيةً تركيبية قائمة على الجمع بين أقطار عربية مختلفة (الشام، العراق، مصر)، بوصفها أجزاءً من كلّ واحد.

وتتجلى البنية الاتجاهية هنا في اعتماد الشاعر على التكتيف الرمزي للجغرافيا، إذ تتحوّل الأنهار (بردى، دجلة، النيل) إلى علامات دالة على وحدة الأمة، لا مجرد عناصر طبيعية. ويُسهّم هذا الترميز في نقل الخطاب من المستوى الوصفي إلى المستوى الدلالي، حيث تصبح الجغرافيا أداةً لإنتاج معنى الوحدة القومية. كما يعتمد الشاعر على أسلوب النداء والاستفهام الإنكاري (مثل: يا للعروبة... أين نور نبوغها؟)، وهو ما يكشف عن توتر داخلي بين واقع التراجع وحلم النهوض. وتؤدي هذه البنية الاستفهامية وظيفة مزدوجة: فهي تعبّر عن الألم، وتحرّض في الوقت ذاته على استعادة الفاعلية.

ويلاحظ أيضاً أنّ الخطاب القومي عند بدوي الجبل يقوم على ثنائية: المجد القومي / الانكسار الراهن، حيث يستدعي الشاعر صورة الأمة القوية، ثم يقابلها بواقعها المتداعي، بما يعمّق الإحساس بالأزمة. غير أنّ هذه الثنائية لا تنتهي بالاستسلام، بل تتحوّل إلى دعوة صريحة للمقاومة واسترداد الحقوق، وهو ما يمنح النص بعداً تحرّيبياً واضحاً.

ومن الناحية الأسلوبية، يظل الشاعر وفياً للغة الجزلة، والإيقاع القوي، والتراكيب التراثية، وهو ما يعكس انتماءه إلى النسق الكلاسيكي، حيث تتكامل الجمالية مع الوظيفة الخطابية في خدمة القضية القومية¹⁰.

2 - تجليات الاتجاه القومي عند ممدوح عدوان

يتخذ الاتجاه القومي في شعر ممدوح عدوان مساراً مختلفاً، يتسم بالعمق النقدي، والبعد الدرامي، وتوظيف تقنيات حديثة، من أبرزها القناع والتناص التاريخي. ويظهر ذلك بوضوح في قصيدته "رسالة إلى أسماء بنت أبي بكر"، حيث يستدعي الشاعر شخصية تاريخية ليعبّر من خلالها عن واقع عربي معاصر مأزوم.

وتتجلى البنية الاتجاهية هنا في إسقاط الماضي على الحاضر، إذ يوظف الشاعر شخصية أسماء بوصفها رمزاً للقيم الإسلامية والعربية الأصيلة (الصبر، الشجاعة، الثبات)، ليقابلها بواقع معاصر يتسم بالهزيمة والانكسار. وهذا التوازي الزمني يخلق مفارقة دلالية تكشف عن حجم التراجع الذي أصاب الأمة. كما يعتمد الشاعر على تقنية القناع الشعري، حيث يتقمص صوت جندي مهزوم، فيقدم خطاباً ذاتياً ظاهرياً، لكنه يحمل في عمقه نقدًا جماعياً للواقع العربي بعد الهزيمة. وتتيح هذه التقنية للشاعر التعبير عن موقفه دون الوقوع في المباشرة، مما يمنح النص كثافة دلالية، ويفتحه على تأويلات متعددة. ومن أبرز ملامح الخطاب القومي عند ممدوح عدوان أيضاً تفكيك خطاب البطولة التقليدية، إذ لا يقدم صورة مثالية للذات العربية، بل يكشف عن هشاشتها، وتناقضاتها، وعجزها عن مواجهة التحديات. غير أن هذا التفكيك لا ينطوي على نزعة انهزامية، بل يُعد محاولة لإعادة بناء الوعي على أسس أكثر واقعية. أسلوبياً، يميل الشاعر إلى لغة سردية مشحونة بالتوتر، تتداخل فيها الأصوات، وتتشظى فيها البنية الخطابية، بما يعكس حالة الانكسار التي يعيشها الوعي القومي. وهذا ما يميز تجربته الحدائبة، التي تسعى إلى مساءلة الواقع لا الاكتفاء بتمجيده.

3 - المقارنة في البنية الاتجاهية

تكشف المقارنة بين الشعارين عن اختلاف جوهري في تمثيل الاتجاه القومي ضمن البنية الاتجاهية لشعر المقاومة؛ إذ يتبنى بدوي الجبل خطاباً وحدوياً مباشراً يقوم على تمجيد الأمة واستحضار أمجادها، مع توظيف واضح للرموز الجغرافية كالأقاليم والأنهار، بما يعزز نزعة تحريضية تهدف إلى استنهاض الهمم وبعث الروح القومية. في المقابل، يقدم ممدوح عدوان خطاباً نقدياً تفكيكياً، يوظف فيه القناع والتناص التاريخي، ويعتمد بناءً شعرياً قائماً على المفارقة بين الماضي والحاضر، بما يفضي إلى مساءلة الوعي القومي وكشف أزماته بدل الاكتفاء بتمجيده.

وعلى هذا، يتبين أن البنية الاتجاهية للاتجاه القومي تتحول من خطاب توحيدي تعبوي عند بدوي الجبل، إلى خطاب نقدي تأملي عند ممدوح عدوان، وهو تحول يعكس انتقال الشعر العربي من مرحلة التمجيد إلى مرحلة المساءلة، ومن اليقين إلى القلق.

يؤكد الاتجاه القومي حضوره بوصفه مكوناً بنيوياً فاعلاً في شعر المقاومة، غير أن تمثله يختلف باختلاف الرؤية الشعرية؛ إذ يتجسد عند بدوي الجبل في صورة خطاب وحدوي مباشر يستند إلى التراث والبلاغة الكلاسيكية، في حين يتخذ عند ممدوح عدوان طابعاً نقدياً حدائياً يسعى إلى تفكيك البنى التقليدية، وإعادة بناء الوعي القومي. ويكشف هذا التباين عن حيوية الخطاب الشعري، وقدرته على التكيف مع تحولات الواقع والتعبير عنها بآليات فنية متجددة.

ثالثاً: الاتجاه الإنساني في شعر المقاومة

يمثل الاتجاه الإنساني أحد الأبعاد العميقة في البنية الاتجاهية لشعر المقاومة، إذ يتجاوز الإطارين الوطني والقومي ليعبر عن الإنسان بوصفه قيمةً كونيةً، تتعرض للانتهاك في سياقات القهر والاحتلال. ومن هذا المنطلق، لا يقتصر الخطاب الشعري المقاوم على الدفاع عن الأرض والهوية، بل يمتد ليشمل الدفاع عن الكرامة الإنسانية في بعدها الشامل، بما يجعل من التجربة الشعرية وسيطاً للتعبير عن الألم الإنساني المشترك¹¹. ويقوم هذا الاتجاه على تحويل المعاناة الفردية والجماعية إلى تجربة إنسانية قابلة للتعميم، بحيث تتجاوز حدود الجغرافيا والانتماء، وتخطب الضمير الإنساني بوصفه مرجعية أخلاقية عليا. ومن هنا، يغدو شعر المقاومة في بعده الإنساني خطاباً يتأسس على التعاطف، والتضامن، واستنكار العنف، مع الاحتفاظ بخصوصية السياق الذي أنتجه.

1 - تجليات الاتجاه الإنساني عند بدوي الجبل

يتجلى الاتجاه الإنساني في شعر بدوي الجبل من خلال مزاجية لافتة بين الحس القومي والزعة الإنسانية، حيث لا ينحصر اهتمامه في تصوير معاناة وطنه فحسب، بل يمتد ليعبر عن الإنسان بوصفه كائناً يتألم، ويأمل، ويبحث عن الحرية والكرامة.

في قصيدته "الشهيد"، يقدم الشاعر نموذجاً دالاً على هذا الاتجاه، إذ تتحوّل شخصية الشهيد من رمز وطني إلى رمز إنساني كوني، يجسّد قيم التضحية والفداء. وتتجلى البنية الاتجاهية هنا في الانتقال من الخاص إلى العام؛ حيث يبدأ الخطاب من سياق محلي، ثم ينفتح على أفق إنساني أوسع، يجعل من تجربة الشهادة تجربة ذات دلالة إنسانية شاملة.

كما يعتمد الشاعر على لغة وجدانية مشحونة بالعاطفة، تتداخل فيها مفردات الألم والأمل، بما يعكس عمق التجربة الشعورية. ويلاحظ أيضاً أنّ الخطاب لا ينعلق في دائرة الحزن، بل يتجه نحو نوع من التعالي القيمي، حيث تُقدّم الشهادة بوصفها فعلاً يمنح الحياة معنى، ويعيد للإنسان كرامته. ومن الناحية الأسلوبية، يحافظ بدوي الجبل على نسقه الكلاسيكي، غير أنّه يطعمه بنبذة إنسانية تتجاوز الإطار الخطابي، لتلامس البعد الوجداني العميق. وهذا ما يمنح النص توازناً بين الجمالية والرسالة، ويُسهّم في توسيع دائرة التلقي.

2 - تجليات الاتجاه الإنساني عند ممدوح عدوان

يتخذ الاتجاه الإنساني في شعر ممدوح عدوان طابعاً أكثر انفتاحاً وكونية، حيث يتجاوز الشاعر حدود القضية المحلية ليعبر عن الإنسان في معاناته الكونية، مستفيداً من الرموز والشخصيات العالمية التي تحمل دلالات إنسانية مشتركة¹².

في قصيدته "غويفار"، يستدعي الشاعر شخصية المناضل العالمي تشي غيفارا، بوصفه رمزاً للمقاومة العابرة للحدود. وتتجلى البنية الاتجاهية هنا في توسيع دائرة الانتماء، بحيث لا يعود الانتماء مقتصرًا على الوطن أو الأمة، بل يمتد ليشمل كلّ إنسان يقاوم الظلم، بغض النظر عن انتمائه الجغرافي¹³.

كما يوظف الشاعر لغة شعرية قائمة على المشهدية والدرامية، حيث يُصوّر لحظة تلقّي خبر الموت بوصفها صدمة جماعية، تعبّر عن فقدان رمز إنساني. وتُسهّم هذه التقنية في نقل التجربة من مستوى الفرد إلى مستوى الجماعة، بما يعزّز البعد الإنساني للنص.

ومن جهة أخرى، يعتمد ممدوح عدوان على تفكيك الحدود بين الذات والآخر، حيث يندمج الشاعر مع الشخصية المستدعاة، في نوع من التماهي الذي يحوّل التجربة إلى تجربة إنسانية مشتركة. وهذا ما يمنح النص طابعاً كونياً، ويجعله مفتوحاً على قراءات متعددة.

ويلاحظ كذلك أنّ الخطاب الإنساني عنده لا يخلو من بعد نقدي، إذ لا يكتفي بتعظيم الرموز، بل يكشف عن هشاشة العالم الذي يسمح بسقوطها، مما يضفي على النص عمقاً فلسفياً يتجاوز البعد العاطفي.

3 - المقارنة في البنية الاتجاهية

تُظهر المقارنة بين الشاعرين تبايناً واضحاً في تمثيل الاتجاه الإنساني؛ إذ ينطلق بدوي الجبل من السياق الوطني ليتسع تدريجياً نحو البعد الإنساني، مركزاً على قيم مثل التضحية والشهادة والكرامة، في إطار خطاب وجداني يتسم بقدر من المباشرة، وتعكس نزعة إنسانية متولدة من الانتماء القومي. في المقابل، يفتح ممدوح عدوان على البعد الإنساني الكوني منذ البداية، موظفاً رموزاً عالمية وخطاباً درامياً رمزياً، بما يتيح له تقديم رؤية نقدية تكشف هشاشة الواقع الإنساني وتناقضاته، متجاوزاً الحدود القومية نحو أفق إنساني أرحب. وعليه، فإن البنية الاتجاهية للاتجاه الإنساني تتحوّل من إنسانية منبثقة من الخاص عند بدوي الجبل، إلى إنسانية كونية مفتوحة عند ممدوح عدوان، وهو ما يعكس تطوّر الوعي الشعري من الانتماء المحدود إلى الأفق الإنساني الشامل.

يُبرز الاتجاه الإنساني في شعر المقاومة قدرة الخطاب الشعري على تجاوز الحدود الجغرافية والثقافية، ليعبّر عن الإنسان في جوهره، بوصفه كائناً يسعى إلى الحرية والكرامة. غير أنّ تمثّل هذا الاتجاه يختلف باختلاف الرؤية الشعرية؛ إذ يتجلّى عند بدوي الجبل في إطار قيمي ينبثق من التجربة الوطنية، في حين يتخذ عند ممدوح عدوان طابعاً كونياً نقدياً، يعكس تحولات الشعر العربي المعاصر واتساع أفقه الدلالي.

رابعا: الاتجاه الاجتماعي في شعر المقاومة

يمثّل الاتجاه الاجتماعي أحد المكونات الجوهرية في البنية الاتجاهية لشعر المقاومة، إذ يعكس علاقة الشاعر بمجتمعه، ويجسّد تفاعله مع قضايا اليومية، وتحولاته الاقتصادية والسياسية والثقافية. ولا ينفصل هذا الاتجاه عن سائر الاتجاهات (الوطني، القومي، الإنساني)، بل يتداخل معها، بوصفه الإطار الواقعي الذي تتجلّى فيه تلك القضايا في حياة الناس¹⁴.

ويقوم الخطاب الاجتماعي في شعر المقاومة على تصوير معاناة الفئات المهمّشة، وكشف مظاهر الظلم والفساد، والدعوة إلى التغيير، بما يجعل من النص الشعري أداة نقدية تسعى إلى إعادة تشكيل الوعي الاجتماعي. ومن هنا، يغدو الشعر وسيلة لتمثيل الواقع، لا بوصفه معطى جامداً، بل بوصفه مجالاً للصراع والتغيير.

1 - تجليات الاتجاه الاجتماعي عند بدوي الجبل

يتجلى الاتجاه الاجتماعي في شعر بدوي الجبل في إطارٍ كلاسيكي يزاوج بين الحسّ الوطني والنقد الاجتماعي، حيث ينطلق الشاعر من معاشة واقعه ليعبر عن رفضه لمظاهر الفساد، والانحراف السياسي، والتفكك المجتمعي.

في قصيدته "دمعة على الشام"، يقدم الشاعر نموذجاً واضحاً لهذا الاتجاه، إذ يصوّر حالة المجتمع في ظلّ التحولات السياسية، كاشفاً عن التوتر القائم بين القيم الأصيلة والممارسات المنحرفة. وتتجلى البنية الاتجاهية هنا في تحويل التجربة الفردية إلى خطاب جمعي، حيث يتحدث الشاعر بصفته شاهداً على معاناة المجتمع، لا مجرد ذات متألمة.

كما يعتمد الشاعر على لغة خطابية مباشرة، تتسم بالوضوح والجرأة، في توجيه النقد إلى السلطة، وفضح ممارساتها. ويظهر ذلك في توظيفه أساليب النداء والتصريح، التي تمنح النص طابعاً احتجاجياً واضحاً، يعكس رغبة في التأثير والتغيير.

ومن جهة أخرى، تتأسس البنية الاجتماعية في شعره على ثنائية: القيم / الانحراف، حيث يقابل بين صورة المجتمع كما ينبغي أن يكون، وصورته في الواقع، بما يعمّق الإحساس بالأزمة. غير أنّ هذا الطرح لا ينتهي عند حدود التشخيص، بل يتضمّن دعوة ضمنية إلى الإصلاح، واستعادة التوازن القيمي. ورغم انتمائه إلى النسق الكلاسيكي، فإنّ بدوي الجبل ينجح في توظيف أدواته اللغوية والبلاغية لتصوير قضايا اجتماعية معاصرة، مما يمنح نصّه بعداً واقعياً يتجاوز الطابع التراثي.

2 - تجليات الاتجاه الاجتماعي عند ممدوح عدوان

يتخذ الاتجاه الاجتماعي في شعر ممدوح عدوان طابعاً أكثر تعقيداً وعمقاً، حيث يتجاوز الوصف المباشر للواقع إلى تفكيك بنياته الداخلية، والكشف عن آليات القهر التي تحكمه. ويظهر ذلك بوضوح في قصيدته "العابرون كالرعد"، التي تُعدّ نموذجاً دالاً على تمثيل المعاناة الاجتماعية في سياق شعري حدائي. تتجلى البنية الاتجاهية هنا في تصوير الجماعة بوصفها فاعلاً تاريخياً، حيث يركّز الشاعر على حركة الناس (الجوع، الكادحين)، ويمنحهم حضوراً مركزياً في النص. ولا يقدّمهم بوصفهم ضحايا فحسب، بل بوصفهم قوة قادرة على الفعل والتغيير، وهو ما يمنح الخطاب بعداً ديناميكياً.

كما يعتمد الشاعر على لغة شعرية كثيفة، تقوم على الصورة والاستعارة، مثل تشبيه الجماعة بـ"رفوف النحل" و"سنابل في طريق الجوع"، وهي صور تجمع بين الضعف والقوة، وتعكس التناقض الذي يعيشه المجتمع. وتُسهم هذه الصور في بناء دلالة مركّبة تتجاوز التقريرية.

ومن أبرز ملامح الاتجاه الاجتماعي عنده أيضاً نقد البنى العميقة للواقع، حيث لا يكتفي بتصوير الفقر أو الجوع، بل يكشف عن جذورهما في النظام الاجتماعي والسياسي. ويلاحظ أنّ الخطاب هنا يتّخذ طابعاً تأملياً، يميل إلى مساءلة الذات الجماعية، لا الاكتفاء بإدانة الآخر.

كما يوظف الشاعر البعد الحركي (العبور، الزحف، السير) بوصفه عنصراً بنيوياً يعكس دينامية التغيير، ويضيف على النص إيقاعاً داخلياً يتناسب مع حركة الجماعة. وهذا ما يمنح القصيدة طابعاً درامياً يعبر عن صراع مستمر بين القهر والمقاومة.

3 - المقارنة في البنية الاتجاهية

تكشف المقارنة بين الشعراء عن اختلاف في تمثيل الاتجاه الاجتماعي ضمن البنية الاتجاهية لشعر المقاومة؛ إذ يتسم خطاب بدوي الجبل بطابع مباشر يركّز على القيم والانحراف، في إطار نزعة إصلاحية ذات بعد أخلاقي، تعتمد لغة تقريرية وخطابية واضحة. في المقابل، يتجه ممدوح عدوان إلى خطاب اجتماعي تحليلي تفكيكي، يركّز على البنى العميقة للواقع، ويبرز الجماعة بوصفها فاعلاً تاريخياً، مع توظيف لغة رمزية تصويرية تمنح النص أبعاداً دلالية أكثر تعقيداً وعمقاً.

وعلى هذا، يتبين أنّ البنية الاتجاهية للاتجاه الاجتماعي تنتقل من خطاب نقدي إصلاحي مباشر عند بدوي الجبل، إلى خطاب تفكيكي حدائي عند ممدوح عدوان، وهو ما يعكس تطوّر الوعي الشعري في تعامله مع القضايا الاجتماعية.

يؤكد الاتجاه الاجتماعي حضوره بوصفه عنصراً بنيوياً في شعر المقاومة، حيث يربط الخطاب الشعري بالواقع المعيش، ويكشف عن معاناة الإنسان في سياقه الاجتماعي. غير أنّ تمثله يختلف باختلاف الرؤية الشعرية؛ إذ يتجلى عند بدوي الجبل في إطار إصلاحي مباشر، في حين يتخذ عند ممدوح عدوان طابعاً تحليلياً نقدياً، يسعى إلى تفكيك الواقع وإعادة بنائه. ويكشف هذا التباين عن ثراء البنية الاتجاهية، وقدرتها على استيعاب تحولات المجتمع والتعبير عنها بآليات فنية متجددة.

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن البنية الاتجاهية لشعر المقاومة بين الكلاسيكية والحداثة، من خلال تحليل نماذج مختارة من شعر بدوي الجبل وممدوح عدوان، في ضوء المنهج التحليلي المقارن. وقد انطلقت من فرضية مفادها أنّ شعر المقاومة لا يتجلى في صورة واحدة ثابتة، بل يتشكّل ضمن بنية اتجاهية مركّبة، تتداخل فيها الأبعاد الوطنية والقومية والإنسانية والاجتماعية، وتختلف تمثلاتها باختلاف الرؤية الشعرية والسياق الجمالي.

وقد أظهرت الدراسة أنّ الاتجاهات الأربعة (الوطني، القومي، الإنساني، الاجتماعي) لا تعمل بمعزل بعضها عن بعض، بل تتفاعل داخل النص الشعري لتشكّل شبكة دلالية متكاملة، تعبّر عن تجربة المقاومة في مستوياتها المختلفة. كما كشفت أنّ التحول من الكلاسيكية إلى الحداثة لم يكن مجرد تحول شكلي، بل كان تحولاً في طبيعة الرؤية، وآليات التعبير، ووظيفة الخطاب الشعري.

ففي حين حافظ بدوي الجبل على نسق كلاسيكي يقوم على المباشرة، واللغة الجزلة، والنبرة الخطابية، اتجه ممدوح عدوان إلى بناء خطاب حدائي يعتمد على الرمز، والمفارقة، والتقنيات الدرامية، بما أتاح له توسيع أفق الدلالة، وتعميق البعد النقدي في شعر المقاومة.

وعليه، يمكن القول إنّ البنية الاتجاهية لشعر المقاومة تمثل إطاراً تحليلياً فاعلاً لفهم تنوّع الخطاب الشعري، والكشف عن آليات اشتغاله، في سياق التفاعل مع القضايا الكبرى التي شكّلت الوعي العربي المعاصر.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ - عبد المطلب، محمد، البلاغة العربية، قراءة أخرى، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، 2003م، ص 45.
- ² - عبد المطلب، محمد، نفسه.
- ³ - غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1966م، ص 12.
- ⁴ - عبد العليم، محمد إسماعيل علي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، القاهرة، دار المعارف، 1989م، ص 88.
- ⁵ - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت، دار الثقافة، 1993م، ص 215.
- ⁶ - شلش، عبد الرحمن، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية، عمان، دار المسيرة، 2008م، ص 134.
- ⁷ - عبد العليم، محمد إسماعيل علي، المرجع السابق.
- ⁸ - طرابيشي، جورج، المثقفون العرب والتراث: التحليل النفسي لعصاب جماعي، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1991م، ص 201.
- ⁹ - شلش، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 137.
- ¹⁰ - عبد العليم، محمد إسماعيل علي، المرجع السابق.
- ¹¹ - عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000م، ص 54.
- ¹² - نفسه ص 60.
- ¹³ - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، ص 233.
- ¹⁴ - إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية، القاهرة، ص 56.

المراجع:

1. أبو شقرا، علي، الحداثة والشعر العربي المعاصر، بيروت، دار النهار، 1995م.
2. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت، دار الثقافة، 1993م.
3. إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية، القاهرة، دار المعارف، 1990م.
4. إيليا، يوسف، الشعر المقاوم في القرن العشرين، عمان، دار الفكر العربي، 2002م.
5. الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، 1980م.
6. سعيد، إدوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2001م.
7. شلش، عبد الرحمن، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية، عمان، دار المسيرة، 2008م.
8. طرابيشي، جورج، المثقفون العرب والتراث: التحليل النفسي لعصاب جماعي، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1991م.
9. عبد المطلب، محمد، البلاغة العربية، قراءة أخرى، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، 2003م.
10. عبد العليم، محمد إسماعيل علي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، القاهرة، دار المعارف، 1989م.
11. عبد الرحمن، طه، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2000م.
12. غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1948-1966، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1966م.